مختلف أحاديث الفطرة

دراسة تحليلية

أ.د. متعب بن سالم الخمشي

الأستاذ بقسم السنة وعلومها – كلية الشريعة والدراسات الإسلامية

جامعة القصيم

khmshie@qu.edu.sa

مقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين..

أما بعد :

فإن الدفاع عن سنة النبي ﷺ والذود عن حياضها شرفٌ قام به الأئمة العاملون والعلماء الصادقون، وقد أخذ ذلك صوراً شتى، ومنها: دفع التعارض بين الأحاديث ، ومحاولة التوفيق بينها بالمسالك المعتبرة عند أهل العلم، والذي يُعدُّ فناً مهماً، وعلماً عظيماً؛ إذ لم يُنصب على جميع الأحكام الشرعية أدلةٌ قاطعةٌ في الدلالة، بل كان بعضها ظنياً، وبعضها قطعياً، وما دامت الأدلة الظنية معتبرةٌ في الدلالة على الأحكام الشرعية فقد تعارض تلك الأدلة أدلةٌ أخرى في الظاهر بحسب جلائها وخفائها؛ من أجل ذلك وَجَبَ البحثُ والنظرُ في الأدلة المتعارضة[1]، فبِهِ تتحقق مقاصد عظيمة، كتنزيه الشريعة، ودفع الشك والريب، وفهم النصوص فهماً صحيحاً، وإدراك فحواها ومقتضاها.

وتظهر أهمية دراسة مختلف الحديث في أبواب العقيدة التي لها أثر في استقامة مناهج العباد وصلاح أحوالهم وصحة معتقدهم، ومن هذه الأبواب المهمة : باب الفطرة ، والذي ورد فيه أحاديث في الصحيحين ، وقد استشكلها عدد من الشراح لما ظهر بينها من الاختلاف، فثمة أحاديث تُفيد أن أمر التوحيد هو الفطرة التي فطر الله العباد عليه، وما سوى ذلك بحسب ما يطرأ على الإنسان مما يحرفه عن المنهج، بينما أحاديث أخرى نصت على أن من العباد من جُبل وطُبع على الكفر منذ خلقه الله؛ ولهذا الاختلاف الظاهري ظهرت الحاجة إلى دراسة مختلف هذه الأحاديث

(1) يُنظر : البحر المحيط في أصول الفقه (108/6).

الصحيحة؛ لمعرفة معانيها وتوجيه مرادها، فاستعنت بالله، وتوجهت إلى هذا البحث.

مشكلة البحث :

يمكن تلخيص مشكلة البحث فيما يلي :

- ما أبرز أحاديث الصحيحين الواردة في باب "الفطرة" ؟
- ما وجه الاختلاف الظاهري بين هذه الأحاديث ؟
- ما مسالك أهل العلم في دفع هذا الاختلاف الظاهري، وما الراجح منها ؟

أهمية البحث:

تظهر أهمية البحث من خلال النقاط التالية :

- صلة هذا الموضوع بعلم العقيدة .
- الحاجة الماسة لجمع أبرز الأحاديث في الباب ودراستها دراسة علمية .
- تفرق مادة الموضوع ، وحاجتها إلى الجمع والدراسة حسب أصول المحدثين.
- أن دراسة هذه الأحاديث دراسة حديثية متخصصة يكشف أبعادًا مهمة في دراسة الموضوع سندًا ومتنًا.

أهداف البحث:

- ذكر أبرز أحاديث الصحيحين الواردة في باب " الفطرة".
- بيان وجه الاختلاف الظاهري بين هذه الأحاديث .

- عرض مسالك أهل العلم في دفع هذا الاختلاف الظاهري، وبيان الراجح منها.

حدود البحث:

أبرز الأحاديث الواردة في الصحيحين في باب "الفطرة" .

الدراسات السابقة :

بعد البحث لم أجد من خصّ هذا الموضوع ببحث متخصص بالحد الذي ذكرته آنفاً ،

منهج البحث:

سأسلك في هذا البحث المنهج الاستقرائي النقدي ؛ وذلك لجمع الأحاديث الواردة ودراستها دراسةً حديثيةً متخصصةً، والمنهج التحليلي الوصفي في دراسة متون الأحاديث ، وذلك لبيان مضمونها ودراسة مختلفها، وإظهار أبعادها.

إجراءات البحث:

أولاً: الجمع والترتيب:

- أسوق أبرز الأحاديث المتعلقة بهذا الموضوع.
- إذا كان الحديث مخرجًا في الصحيحين أو أحدهما فإني أقتصر في تخريجه على الكتب السبعة.
- إذا كان الحديث مخرجًا في غير الصحيحين، فإني أتوسع في تخريجه بما أراه كافيًا لدراسة الإسناد والحكم على الحديث.
- أخرج الحديث من المصادر الأخرى بادئًا بالمتابعات التامة ثم القاصرة.
- أشير إلى لفظ المتابع، وأعتني ببيان الفروق بين الألفاظ ، وقد أسوق الألفاظ إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

- أقوم بدراسة كل راوٍ له تأثير في الحكم على الحديث، مستشهداً بكلام الأئمة النقاد على الراوي جرحاً أو تعديلاً.
- في ترجمة الراوي :أذكر اسمه كاملاً مميزاً له عن غيره، وأذكر كنيته ولقبه إن وجد، ثم مرتبته ثم وفاته، ثم أسوق من أقوال النقاد ما يتضح به حاله، ثم أذكر خلاصة القول فيه ،ثم أذيّل ذلك بذكر مصادر الترجمة.
- في دراسة مختلف الحديث : أذكر ما يُناسب من تحليل وموازنة دلالات الأحاديث واستنتاج معانيها والربط بين مفرداتها وإظهار الوحدة الموضوعية الخاصة بها وإزالة الاختلاف الظاهري بينها ، مجتهداً –في كل ذلك- في استخدام أدوات المحدثين وما تقتضيه أصول الصناعة الحديثية ، مستفيداً من آراء من سبق من شراح الأحاديث .
- الالتزام بعلامات الترقيم المناسبة، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.
- أعزو الآيات الواردة في هذا البحث إلى مواضعها في القرآن الكريم، بذكر رقمها واسم سورتها، مع كتابتها بالرسم العثماني.
- أضبط الألفاظ المشكلة، وأسماء الرواة، وألقابهم المشتبهة، والأماكن ونحوها، –حسب الإمكان–.
- أشرح الألفاظ الغريبة من كتب غريب الحديث، أو شروح الحديث، أو المعاجم اللغوية، –حسب ما يقتضيه المقام –.
- أعرّف بالأماكن، والوقائع –غير المشهورة– من الكتب الأصيلة التي عُنيت ببيانها، والتعريف بها، سواء القديمة أو الحديثة.

خطة البحث: وتتكون من مقدمة، وتمهيدٍ ومبحثان، وخاتمة.

المقدمة وتشتمل على: مشكلة البحث، وأهميته، وأهدافه، وحدوده، والدراسات السابقة، ومنهج البحث، وإجراءاته.

المبحث الأول: أبرز الأحاديث الواردة في الصحيحين في باب "الفطرة"

المبحث الثاني : وجه الاختلاف بين الأحاديث، و مسلك أهل العلم في دفع الاختلاف بين هذه الأحاديث .

المبحث الثالث :المناقشة والترجيح .

الخاتمة، وفيها أهم النتائج التي توصلت إليها في البحث.

المبحث الأول

أبرز الأحاديث الواردة في الصحيحين في باب "الفطرة":

الحديث الأول :

قال الإمام البخاري – رحمه الله– في صحيحه(كتاب الجنائز/باب إذا أسلم الصبي فمات هل يُصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام؟)(456/1)(1293):

حَدَّثَنَا عَبْدَانُ، أَخْبَرَنَا عَبْدُ اللَّهِ، أَخْبَرَنَا يُونُسُ، عَنِ الزُّهْرِيِّ، أَخْبَرَنِي أَبُو سَلَمَةَ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، أَنَّ أَبَا هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ، وَيُنَصِّرَانِهِ، أَوْ يُمَجِّسَانِهِ، كَمَا تُنْتَجُ البَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ» ثُمَّ يَقُولُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ﴾ [الروم:30]

التخريج:

أخرجه مسلم(كتاب القدر/باب معنى كل مولودٍ يُولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار، وأطفال المسلمين)(2047/4-2048)(2658) من طريق يونس بن يزيد به.

والبخاري(كتاب الجنائز/باب ما قيل في أولاد المشركين)(465/1)(1319)من طريق ابن أبي ذئب. وأخرجه أحمد (233/2) من طريق معمر.

كلاهما(ابن أبي ذئب، ومعمر)عن الزهري، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة ﷺ بنحوه . زاد :"أو يُمجسانه، كَمَا تُنْتَجُ البهيمة بهيمة جَمعَاءَ ، هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ، ثم يقول أبو هريرة: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ﴾ [الروم:30]". وأخرجه مسلم في الكتاب والباب المتقدمين (2048/4)(2658) ، والترمذي (كتاب القدر/باب ما جاء كل مولود يولد على الفطرة)(447/4)(2138) من طريق الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة بنحوه. زاد عند مسلم :" ما من مولودٍ يُولد إلا وهو على الملة". وفي رواية:" إلا على هذه الملة حتى يُبِينَ عنه لسانه". وفي رواية:" ليس من مولود يولد إلا على هذه الفطرة حتى يُعَبِّرَ عنه لسانه".

وأخرجه مسلم (كتاب القدر/باب معنى كل مولودٍ يُولد على الفطرة، وحكم موت أطفال الكفار، وأطفال المسلمين) (2048/4)(2658)من طريق عبد الرزاق، عن معمر، عن همام بن منبه. ومن طريق عبدالعزيز الدراوردي ، عن العلاء بن عبد الرحمن بن يعقوب المدني ، عن أبيه.

كلاهما(همام، وعبد الرحمن بن يعقوب) عن أبي هريرة بنحوه .

وأخرجه أبو داود (كتاب السنة/ باب في ذَرَارِيّ المشركين)(229/4)(4714)قال:"حدثنا القعنبي، عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" كل مولودٍ يُولد على الفطرة، فأبواه يهودانه وينصرانه، كَمَا تُنَاتَجُ الإِبِلُ مِن بَهِيمَةٍ جَمْعَاءَ ، هَلْ تُحِسُّ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ ؟ قالوا: يا رسول الله أفرأيت من يموت وهو صغير؟ قال:" الله أعلم بما كانوا عاملين". وإسناده صحيحٌ.

غريب الحديث :

الجمعاء: هي السليمة، سميت بذلك لاجتماع السلامة لها في أعضائها. غريب الحديث لابن قتيبة (122/1).

الجدعاء: مقطوعة الأذن. مشارق الأنوار(142/1).

الحديث الثاني :

قال الإمام مسلم-رحمه الله- في صحيحه(كتاب الْجَنَّةِ وَصِفَةِ نَعِيمِهَا وَأَهْلِهَا/بَابُ الصِّفَاتِ الَّتِي يُعْرَفُ بِهَا فِي الدُّنْيَا أَهْلُ الْجَنَّةِ وَأَهْلُ النَّارِ)(2197/4)(2865):" حَدَّثَنِي أَبُو غَسَّانَ الْمِسْمَعِيُّ، وَمُحَمَّدُ بْنُ الْمُثَنَّى، وَمُحَمَّدُ بْنُ بَشَّارِ بْنِ عُثْمَانَ - وَاللَّفْظُ لِأَبِي غَسَّانَ، وَابْنِ الْمُثَنَّى - قَالَا: حَدَّثَنَا مُعَاذُ بْنُ هِشَامٍ، حَدَّثَنِي أَبِي، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ مُطَرِّفِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الشِّخِّيرِ، عَنْ عِيَاضِ بْنِ حِمَارٍ الْمُجَاشِعِيِّ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي خُطْبَتِهِ: " أَلَا إِنَّ رَبِّي أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ، مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عَبْدًا حَلَالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا...".

التخريج :

أخرجه أحمد(162/4) من طريق هشام، عن قتادة، عن مطرف، عن عياض به.

وأخرجه أحمد(266/4)، وأبو داود الطيالسي(406/2)، والبزار(419/8)، وابن حبان(422/2)، والطبراني في المعجم الكبير(360/17) من طرقٍ عن همام به. وإسناده صحيح.

غريب الحديث:

فَاجْتَالَتْهُمْ : أي استخفتهم فجالوا معهم في الضلال. النهاية(317/1)، لسان العرب(131/11).

الحديث الثالث :

قال الإمام مسلم- رحمه الله- في صحيحه(كتاب القدر/باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين)(2050/4)(2661):"حَدَّثَنَا عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْلَمَةَ بْنِ قَعْنَبٍ، حَدَّثَنَا مُعْتَمِرُ بْنُ سُلَيْمَانَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ رَقَبَةَ بْنِ مَسْقَلَةَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الْغُلَامَ الَّذِي قَتَلَهُ الْخَضِرُ طُبِعَ كَافِرًا، وَلَوْ عَاشَ لَأَرْهَقَ أَبَوَيْهِ طُغْيَانًا وَكُفْرًا»".

التخريج:

أخرجه أبو داود (كتاب السنة/باب في القدر)(227/4)(4705) من طريق معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن رَقَبَةَ بن مَسْقَلَةَ، عن أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن أبي بن كعب به .

وأخرجه الترمذي(تفسير القرآن/من سورة الكهف)(312/5)(3150) من طريق أبي إسحاق به.

وأخرجه مسلم في الموضع المتقدم(1847/4-1848-1849-1852) من طريق سفيان بن عيينة ، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير بنحوه

وأخرجه مسلم في الموضع المتقدم(1852/4-1853)من طريق الزهري ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود، عن عبدالله بن عباس بنحوه

وفي الباب: حديث عبد الله بن مسعود:

أخرجه الطبراني في المعجم الكبير(276/10)، وفي المعجم الأوسط(235/8-236)من طريق شاذ ابن الفيّاض ، عن عمر، عن قتادة، عن أبي حسّان الأعرج ،

عن ناجية بن كعب، عن عبد الله بن مسعود ﷺ مرفوعاً بلفظ:" العبدُ يُولد مؤمناً، ويعيش مؤمناً، ويموت مؤمناً. والعبد يُولد كافراً، ويعيش كافراً، ويموت كافراً، والعبد يعمل برهةً من دهره بالسعادة، ثم يدركه ما كُتبَ له فيموت كافراً، والعبدُ يعمل برهةً من دهره بالشقاء ، ثم يُدركه ما كُتبَ له فيموت سعيداً ".

والحديث ضعيف ، قال الطبراني في الأوسط:"لم يرو هذا الحديث عن قتادة إلا عمر بن إبراهيم، تفرد به شاذٌ". وقال ابن عدي في الكامل(86/6) عن عمر بن إبراهيم –الراوي عن قتادة في هذا السند–:" يروي عن قتادة أشياء لا يوافق عليها...وحديثه عن قتادة خاصةً مضطرب، وهو مع ضعفه يُكتب حديثه"

وللحديث شاهدٌ أخرجه الترمذي(283/4)(2191)، وأحمد(19/3–70)، والحميدي(331/2)، وعبد بن حميد(273)، والحاكم(551/4) من طريق علي بن زَيْد بن جُدْعَان ، عن أَبي نَضْرَة، عن أبي سعيد قال :" صلى بنا رسول الله ﷺ يوماً صلاة العصر بنهارٍ، ثم قام خطيباً، فلم يدع شيئاً يكون إلى قيام الساعة إلا أخبرنا به، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه...فكان فيما حفظنا يومئذٍ:" ألا إن بني آدم خلقوا على طبقاتٍ شتى، فمنهم من يولد مؤمناً، ويحيا مؤمناً، ويموت مؤمناً، ومنهم من يولد كافراً ويحيا كافراً، ويموت كافراً، ومنهم من يولد مؤمناً، ويحيا مؤمناً، ويموت كافراً، ومنهم من يولد كافراً، ويحيا كافراً، ويموت مؤمناً...". واللفظ للترمذي. قال الحاكم :" هذا حديثٌ تفرد بهذه السياقة علي ابن زيد بن جدعان القرشي، عن أبي نضرة. والشيخان رضي الله عنهما لم يحتجا بعلي بن زيد".

وابن جدعان هو علي بن زيد بن عبد الله بن زهير بن عبدالله بن جدعان التيمي القرشي ، أبو الحسن البصري المكفوف ، أصله حجازي ، ينسب أبوه إلى جد جده ، فيقال : علي بن زيد بن جدعان .ضعيفٌ مشهورٌ. يُنظر: أحوال الرجال(114) ، المجروحين(78/2).

والحديثان يرتقيان بمجموعهما إلى درجة الحسن لغيره.

المبحث الثاني

وجه الاختلاف بين الأحاديث، و مسلك أهل العلم في دفع الاختلاف بين هذه الأحاديث

في هذا الباب عدة أحاديث يظهر تعارضها، فحديث أبي هريرة وحديث عياض بن حمار يدل ظاهرهما على أن المولود يولد على التوحيد والإسلام بدلالة قوله ﷺ في حديث أبي هريرة :" فأبواه يهودانه أو ينصرانه ..."، وقوله ﷺ في حديث عياض ابن حمار:" فاجتالتهم الشياطين"، وقد عارضهما حديث أبي بن كعب: "إن الغلام الذي قتله الخَضِرُ طُبِعَ كافراً" يدل على أن من الناس من يُطبع على الكفر، ويولد كافراً.

وقد سلك أهل العلم في دفع الاختلاف بين هذه الأحاديث مسالك متعددة، ومن الأوجه التي ذكرت في تحديد معنى الفطرة، والذي به يتم دفع التعارض بين الأحاديث:

1. أن الفطرة هي: ملة الإسلام التي خلقهم الله عليها، فإنهم لو تُركوا وما خلقوا عليه لكانوا مسلمين موحدين.

وهو قول أبي هريرة وابن شهاب[1]، ويحتل هذا المعنى عند كثيرٍ من المفسرين رتبة الصدارة[2]، بل وصفه القرطبي بأنه:" المعروف عند عامة السلف من أهل التأويل"[3].

وهو قول عكرمة، ومجاهد، والحسن، وإبراهيم، والضحاك، وقتادة في قوله ﷻ ﴿

(1) التمهيد(18/72-76).

(2) تفسير الطبري(21/40-41)، تفسير القرطبي(5/395)، الدر المنثور(6/493).

(3) تفسير القرطبي(14/25).

فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾ [الـــروم:30]، قـالوا: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ﴾ ديـن الإسلام ﴿لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِ﴾ قالوا: لدين الله[1].

وقد يُعبّر بعضهم بـ"الإخلاص"[2] أو "التوحيد"[3] أو" الدين"[4].

قال ابن عبد البر: "حكى محمد بن نصر أن آخر قولي أحمد أن المراد بالفطرة الإسلام"[5].

وفي تفسير سورة الروم جزم البخاري بهذا الرأي[6]،وصوَّبه التوربشتي[7]، وقال ابن حجر :" وأشهر الأقوال أن المراد بالفطرة الإسلام"[8].

وصوَّبه شيخ الإسلام ابن تيمية، حيث يقول:" الفطرة تتضمن الإقرار بالله والإنابة إليه ...فالصواب أنها فطرة الله التي فطر الناس عليها، وهي فطرة الإسلام، وهي الفطرة التي فطرهم عليها يوم قال: ﴿أَلَسۡتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ [الأعراف:172] وهي السلامة من الاعتقادات الباطلة والقبول للعقائد الصحيحة ..." [9].

(1)التمهيد(72/18). وينُظر:درء التعارض(367/8-368)، شفاء العليل (305/2)، الدر المنثور(493/6).

(2) تفسير الطبري(40/21) .

(3) كما ذهب إلى ذلك الرازي في تفسيره(235/12). وينظر: التحرير والتنوير(89/21-90).

(4) تفسير البغوي(269/6)، تفسير الألوسي(40/21)

(5) فتح الباري (249/3).

(6) صحيح البخاري (1792/4).

(7) الميسر(55/1).

(8) فتح الباري (248/3).

(9) مجموع الفتاوى(122/1-335).

وقال ابن القيم: " المراد أن كل مولود فإنه يولد على محبته لفاطره وإقراره له بربوبيته وادعائه له بالعبودية، فلو خُلِّي وعَدم المعارض لم يَعدل عن ذلك إلى غيره"[1].

وقال عن حديث الغلام الذي قتله الخضر :" هذا لا يناقض كونه مولوداً على الفطرة، فإنه طُبع وولد مقدراً كفرُه إذا عَقلَ، وإلا ففي حال ولادته لا يعرف كفراً ولا إيماناً، فهي حالٌ مقدرةٌ لا مقارنة للعامل، فهو مولودٌ على الفطرة ومولودٌ كافراًباعتبارين صحيحين ثابتين له، هذا بالقبول وإيثار الإسلام لو خُلِّي، وهذا بالفعل والإرادة إذا عَقلَ، فإذا جمعت بين الفطرة السابقة والرحمة السابقة العالية والحكمة البالغة والغنى التام، وقرنت بين فطرته ورحمته وحكمته وغناه تبيّن لك الأمر"[2].

ومن أدلة هذا القول :

– قوله ﷺ :" فأبواه يهودانه ...". يدل على أن الأصل الإسلام، وأنهم يُغَيِّرون الفطرة التي فُطر الناس عليها[3]. قال ابن حجر :" والمعنى أن كلَ أحدٍ لو تُرك من وقت ولادته وما يؤديه إليه نظره لأدَّاه إلى الدين الحق، وهو التوحيد ..."[4].

– ألفاظٌ واردةٌ في الحديث تدل على هذا المعنى:"على الملة "– "على هذه الملة" [5]، والمراد ملة الإسلام.

– استشهاد أبي هريرة بقول الله ﷻ: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾ [الروم:30]، قال ابن عبد البر:" وقال آخرون: الفطرة ههنا الإسلام. قالوا: وهو

(1) شفاء العليل(309/2).

(2) شفاء العليل(239/2).

(3) يُنظر: درء التعارض(372/8).

(4) فتح الباري (339/10). وينظر:شرح مشكل الآثار(53/1).

(5) درء التعارض(371/8).

المعروف عند عامة السلف من أهل العلم بالتأويل، قد أجمعوا في قول الله ﷻ ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَا﴾ على أن قالوا: فطرة الله دين الله الإسلام..."[1].

– قوله ﷻ: ﴿فِطۡرَتَ ٱللَّهِ﴾ إضافة مدحٍ، وقد أمر نبيه بلزومها فعُلم أنها الإسلام[2].

– تشبيه المولود بالبهيمة الجمعاء دليلٌ على أن الفطرة هي المستقيمة السليمة، وما يطرأ من التهويد والتنصير بمنزلة التغيير في البهيمة[3].

– حديث عياض بن حمار ﷺ حيث جاء فيه:" إني خلقت عبادي حنفاء كلهم فاجتالتهم الشياطين عن دينهم حنفاء"، وفي لفظ"حنفاء مسلمين"[4].

2. أن الفطرة هي القابلية التي خلقها الله تعالى في الإنسان للنظر في مصنوعات الله، والاستدلال بها على موجدها، فيؤمن به ويتبع شرائع دينه فهي الخِلقة والجِبِلَّة والطبع، أي أن الله خلقهم على حالة تمكنهم من إدراك الحق وقبوله. وهو قول أهل اللغة[5]. قال الجرجاني:" الفطرة الجبلة المتهيئة لقبول الدين"[6]. واختاره الخطابي[7]، وصححه النووي [8].

(1) التمهيد(72/18)، وينظر: فتح الباري (248/3).
(2) فتح الباري (248/3).
(3) انظر: درء التعارض(371/8).
(4)ينظر: التمهيد(75/18).
(5) يُنظر: المفردات للراغب الأصفهاني(384)، تفسير البحر المحيط(167/7).
(6) التعريفات(53).
(7) أعلام الحديث(716/1).
(8) شرحه لصحيح مسلم (208/16). وانظر : الفائق(127/3).

وإلى هذا مال القرطبي في المفهم فقال:" ومعنى الحديث أن الله خلق قلوب بني آدم مؤهلةً لقبول الحق كما خلق أعينهم وأسماعهم قابلةً للمرئيات والمسموعات، فما دامت باقيةً على ذلك القبول وعلى تلك الأهلية أدركت الحق ...وقد دل على صحة هذا المعنى بقية الخبر... البهيمة تلد ولدها كامل الخلق سليماً من الآفات، فلو نزل على أصل الخلقة لبقي كاملاً بريئاً من العيوب، لكن يُتصرف فيه فتُجدع أذنه، ويُوسم وجهه فتطرأ عليه الآفات والنقائص فيخرج عن الأصل..."[1].

2. بتحديد الفطرة يمكن الجمع بين هذه النصوص، ودفع التعارض بينها [2] ، وقد رأى الحافظ أبو بكر الأثرم أن المقصود بالفطرة في حديث أبي هريرة ابتداء الخلق حال أخذ العهد على بني آدم وهم في ظهور آبائهم ، ولا يعني بذلك فطرة الإسلام ، وكذا المقصود في حديث عياض ، أما حديث ابن مسعود فمَردُّه إلى روايةٍ أصح تدل على أن ذلك جاء في مرحلةٍ متأخرةٍ بعد الخلق الأول ، وذلك في مراحل خلقه في بطن أمه ، وذلك واضحٌ من سياق الرواية –كما تقدّم-:" إن أحدكم يُجْمع خلقه في بطن أمه أربعين يوماً...". ومثله حديث أبي بن كعب، فالطبع هو الذي يكون في بطن أمه[3]، وبذلك تكون الأحاديث على مراحل مختلفة .

قال ابن قتيبة :" فكل مولودٍ في العالم على ذلك العهد والإقرار، وهي الحنيفية التي وقعت في أول الخلق وجرت في فطر العقول " [4].

وشبّه الحافظ أبو بكر الأثرم هذا العهد والإقرار بمثل قوله ﷺ : "من قال لا إله إلا الله دخل الجنة"، وأن هذا قبل نُزولِ الفرائض، وشرعِ شرائع الإسلام التي أُمروا

(1) المفهم(675/6).

(2) قال ابن عبدالبر :" الفطرة المذكورة في هذا الحديث اختلف العلماء فيها، واضطربوا في معناها، وذهبوا في ذلك مذاهب متباينة، ونزعت كل فرقةٍ منهم في ذلك بظاهر آية ونص سنة...". التمهيد(66/18).

(3) ويُنظر:فيض القدير(416/4).

(4) تأويل مختلف الحديث(200). ويُنظر:غريب الحديث لابن قتيبة(121/1).

بها، فخلق الله عباده يوم أخذهم في صلب آدم كهيئة الذر على الإقرار به وعلى الطاعة فيما أمرهم به[1].

والعهد أخذه الله ﷻ على ذرية آدم عليه السلام حين أخرجهم نَسماً من ظهره وصلبه في صورة الذَّر.وقد ذهب إلى ذلك حماد بن سلمة [2]، والضحاك بن مزاحم [3]، ونقله ابن عبد البر عن إسحاق بن راهويه، والأوزاعي، وسحنون[4]، وهي إحدى الروايتين عن أحمد حكاها الميموني عنه [5]، ونسبه ابن كثير إلى قائلين من السلف والخلف[6].

ومن أدلة هذا القول:

- قوله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف:172] .

وقد استدل بهذه الآية الحافظ أبو بكر الأثرم ، وأوضح-كما تقدّم- أن السنة جاءت ببيان هذه الآية، وأشار إلى حديث ابن عباس عن النبي ﷺ أنه قال :" إن الله أخذ الميثاق من ظهر آدم عليه السلام، بنَعْمان[7]- يعني عرفة - فأخرج من صلبه كل ذُرِّيَّةٍ ذَرَأَهَا فَنَثَرَها بين يديه، كَلَّمَهُم قِبَلاً قال ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ

(1) ناسخ الحديث ومنسوخه، للأثرم (163-167).

(2) سنن أبي داود(230/4).

(3) تفسير الطبري(230/13).

(4) التمهيد(362/6)، وينظر: فتح الباري(249/3).

(5) فتح الباري(249/3). ويُنظر: المسائل والرسائل المروية عن الإمام أحمد في العقيدة(181/1)

(6)تفسير ابن كثير(265/2).ويُنظر: تأويل مختلف الحديث(200)، المعلم(180/3)، الميسر للتوربشتي (55/1)، أحكام أهل الذمة (190/1)، المحرر الوجيز(454/11-455)، تفسير الألوسي(40/21).

(7) جبل بقرب عرفة . انظر: الفائق(418/1)، النهاية(187/5).

ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴾[الأعراف:172] إلى قوله: ﴿ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴾ [الأعراف:173][1].

وفي حديث أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قال: "يقول الله لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة : لو أن لك ما في الأرض من شيءٍ أكنت تفتدي به ؟ فيقول: نعم. فيقول: أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئًا، فأبيتَ إلا أن تشرك بي"[2].

وقد وافق الحافظ أبا بكر الأثرم على هذا الاستدلال ابن بطة، حيث يقول:" فأما هذا الحديث فإن بيان وجهه في كتاب الله وفي سنة رسول الله ﷺ وعند العلماء

(1) أخرجه النسائي في السنن الكبرى(347/6)، وأحمد(272/1)، والحاكم (544/2) من طريق جرير بن حازم، عن كلثوم بن جبر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس به. وصححه الحاكم. والحديث فيه كلثوم بن جبر، قال النسائي:" كلثوم هذا ليس بالقوى ، و حديثه ليس بالمحفوظ". ومدار الحديث على كلثوم بن جبر ، وقد اختلف عليه : فرواه جرير بن حازم–وهو ثقة– ، عن كلثوم بن جبر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مرفوعاً. وخالفه الثقات، حيث رووه، عن كلثوم بن جبر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس موقوفاً. أخرجه الطبري في تفسيره (111/9–112) من طريق عبد الوارث، وربيعة بن كلثوم، وابن علية.وأخرجه الطبري في تفسيره (112/9)، وابن أبي حاتم (1613/5)من طريق علي بن بَذيمة. كلهم(عبد الوارث، وربيعة بن كلثوم، وابن علية، وعلي بن بَذيمة) عن كلثوم به. ورواه الطبري(111/9–112)، وابن أبي حاتم(1613/5) من طريق عطاء بن السائب، وحبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير به.وهذا الوجه هو الراجح، قال ابن منده في "الرد على الجهمية"(29):" وهذا حديثٌ تفرد به حُسين المروزي، عن جرير بن حازم. ورواه حماد بن زيد، وعبد الوارث، وابن علية، وربيعة بن كلثوم، كلهم عن كلثوم بن جبر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس موقوفاً. وكذلك رواه حبيب بن أبي ثابت، وعلى بن بَذيمة، وعطاء بن السائب، كلهم عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس مثله...".

وقال ابن كثير في تفسيره(263/2):" وقد رواه عبد الوارث، عن كلثوم بن جبر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، فوقفه. وكذا رواه إسماعيل بن علية ووَكِيع، عن ربيعة بن كلثوم بن جبر، عن أبيه، به.وكذا رواه عطاء ابن السائب، وحبيب بن أبي ثابت، وعلي بن بَذِيمة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قوله، وكذا رواه العَوْفي وعلي بن أبي طلحة عن ابن عباس. فهذا أكثر وأثبت–والله أعلم–".

(2)أخرجه البخاري(2399/5)(6189)، ومسلم(2160/4–2161)(2805).

والعقلاء بيانٌ لا يختل على من وهب الله له فهمه وفتح أبصار قلبه، وذلك قول الله ﷻ: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾[الأعراف:172] ، ثم جاءت الأحاديث بتفسير ذلك أن الله ﷻ أخذهم من صلب آدم كهيئة الذر، فأخذ عليهم العهد والميثاق بأنه ربهم فأقروا له بذلك أجمعون، ثم ردَّهم في صلب آدم ثم قال ﷻ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:30]،فكانت البداية التي ابتدأ الله ﷻ الخلق بها ودعاهم إليها، وذلك أن بداية خلقهم الإقرار له بأنه ربهم وهي الفطرة، والفطرة ها هنا ابتداء الخلق، ولم يعن بالفطرة الإسلام وشرائعه وسننه وفرائضه..."[1].

– حديث أبي هريرة المتقدم .قال الطيبي :"التعريف في قوله ﷺ :(يُولد على الفطرة) إشارةٌ إلى معهودٍ ، وهو قوله –تعالى–:﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم:30]، لأن معنى المأمور به بقوله :﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ﴾ اثبت على العهد القديم، المعني به في قوله –تعالى– ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ شَهِدْنَآ﴾ [الأعراف: 172] "[2].

– الاشتقاق اللغوي، وبيان ذلك أن الفطرة في اللغة:مصدر من فَطَرَ، قال ابن فارس:"الفاء والطاء والراء أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على فَتْح شيء وإبرازِه"[3]. وقال ابن منظور :" فطَرَ الشيءَ يَفْطُرُه فَطْراً فانْفَطَر، وفطَّرَه شقه، وتَفَطَّرَ الشيءُ تشقق، والفَطْر الشق، وجمعه فُطُور... وفَطَرَ الله الخلق يَفْطُرُهم خلقهم وبدأَهم والفِطْرةُ الابتداء

(1) الإبانة(2/71-72).
(2) شرح الطيبي(1/235). ويُنظر: فتح الباري(3/249).
(3) معجم مقاييس اللغة (4/510).

والاختراع..."[1]. وقال ابن الأثير :" الفَطْرُ : الابْتداء والاخِتراع . والفِطْرة : الحالة منه كالجِلْسة والرِّكْبة"[2]. وقد أشار إلى هذا المعنى الحافظ أبو بكر الأثرم[3]، وأيّد هذا المعنى بشواهد من القرآن والسنة، ومن ذلك قول الباري ﷻ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [فاطر:1]. قال ابن بطة:" يعني أنه بدأ خلقها فقوله:(كل مولود يولد على الفطرة) يعني على تلك البداية التي ابتدأ الله ﷻ خلقه بها وأخذ مواثيقهم عليها من الإقرار له بالربوبية، ثم يُعرب عنه لسانه بما يُلقنه أبواه من الشرائع و الأديان فيعرب بها و ينسب إليها ..." [4].

– ورود الرواية بلفظ(الملة) بدل (الفطرة)، والدين في قوله ﴿لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾ [الروم:30]، هو عين الملة قال تعالى﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [الأنعام:161]، ويؤيده حديث عياض المتقدم. ذكر ذلك الطيبي [5].

– التشبيه بالمحسوس المعاين ليفيد أن ظهوره يقع في البيان مبلغ هذا المحسوس، والمراد تمكن الناس من الهدى في أصل الجبلة والتهيؤ لقبول الدين[6].

3. أن الفطرة هي البداءة التي ابتدأ الله ﷻ عليها الناس، أي السلامة والاستقامة من حيث أنه ابتدأهم: أي: فطرهم وخلقهم، للموت والحياة، والسعادة

(1) لسان العرب(55/5). ويُنظر: تاج العروس(326/13)

(2) النهاية(882/3).ويُنظر: مفردات الراغب للأصفهاني(382)، الفائق(127/3).

(3) ناسخ الحديث ومنسوخه(164).

(4) الإبانة(72/2).

(5) شرح الطيبي(235/1).

(6) فتح الباري (249/3).

والشقاء، وإلى ما يصيرون إليه عند البلوغ من ميولهم عن آبائهم واعتقادهم، وذلك ما فطرهم الله عليه مما لا بد من مصيرهم إليه[1].

وقريبٌ منه القول بأن الفطرة هي:" الخلقة التي خلق عليها المولود في المعرفة بربه ، فكأنه قال : (كل مولودٍ يُولد على خلقةٍ يعرف بها ربه إذا بلغ مبلغ المعرفة) يريد خلقةً مخالفةً لخلقة البهائم التي لا تصل بخلقتها إلى معرفة ذلك"[2].

قال ابن عبد البر :" وأنكروا أن يكون المولود يُفطر على كفرٍ أو إيمانٍ أو معرفةٍ أو إنكارٍ. قالوا: وإنما المولود على السلامة في الأغلب خلقةً وطبعاً وبنيةً ليس معها إيمانٌ ولا كفرٌ ولا إنكارٌ ولا معرفةٌ، ثم يعتقدون الكفر والإيمان بعد البلوغ إذا ميّزوا"[3].

قال ابن المبارك:"يُولد على ما يصير إليه من شقاوةٍ أو سعادةٍ، فمن عَلِم الله أنه يصير مسلماً ولد على الإسلام، ومن علم الله أنه يصير كافراً ولد على الكفر"[4].

وقال الإمام أحمد:" الفطرة التي فطر الله ﷻ العباد عليها من الشقاء والسعادة"[5]، وقد صحح هذا القول ابن عبدالبر.[6]

ومن أدلة هذا القول:

(1) التمهيد(78/18).وينظر: تفسير القرطبي(25/14).
(2) التمهيد(68/18).
(3) المصدر السابق.
(4) شرح النووي لصحيح مسلم(423/16).
(5) السنة للخلال(420/2).
(6) التمهيد(70/18).

– حديث أبي هريرة فهو يُطابق التمثيل بالبهيمة(كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء) أي سالمة، ولا يخالف حديث عياض؛ لأن المراد بقوله (حنفاء) أي على استقامةٍ وسلامةٍ[1].

– استند أصحاب هذا الرأي إلى اللغة, فقالوا–كما تقدم–: " الفطرة في كلام العرب البداءة والخلقة"[2].

– حديث عائشة ل قالت: " دُعي رسول الله ﷺ إلى جنازة غلامٍ من الأنصار، فقلت: يا رسول الله، طوبى لهذا ! عصفورٌ من عصافير الجنة، لم يعمل السوء ولم يُدركه, قال: أو غير ذلك يا عائشة, إن الله خلق للجنة أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم، وخلق للنار أهلاً خلقهم لها وهم في أصلاب آبائهم"[3].

4. أن الفطرة هي الفقر والفاقة. نقله القرطبي عن أبي بكر الوراق ، وعقَّب عليه بقوله: «وهذا حسنٌ، فإنه – أي الإنسان– منذ ولد إلى حين يموت فقيرٌ محتاج ..."."[4].

(1) التمهيد(18/70–71).

(2) تفسير القرطبي(14/27)، وانظر:التمهيد(18/69).

(3) تفسير القرطبي(14/26). والحديث أخرجه مسلم (4/2050)(2662).

(4) تفسير القرطبي(14/30).

المبحث الثالث

المناقشة والترجيح :

الذي يظهر –والله أعلم– أن القول الذي ذهب إليه الحافظ أبو بكر الأثرم فيه توجيهٌ وجمعٌ بين الأقوال ، فكل مولودٍ يُولد على الفطرة أي على العهد القديم ، لكن منهم من بقي على العهد وحقّت له السعادة ، ومنهم من كُتبت عليه الشقاوة في بطن أمه ، أو انحرف عنها بعد الولادة .

وأما القول بأن الفطرة هي: ملة الإسلام فيعترضه عليه بما يلي :

– أنه يفضي إلى تجريد قوله ﷺ :" فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه..." من أي معنى، إذ يصبح المعنى: أنهما – أي الوالدين – قد فعلا به –أي الطفل– ما هو الفطرة التي ولد عليها، فينافي التمثيل بحال البهيمة، إذ لو فطر الجميع على الإسلام لما كفر أحدٌ[1]، وقد ثبت أنه خلق أقواماً للنار[2]، كما قال –تعالى–: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾ [الأعراف:179] وأخرج الذرية من صلب آدم سوداء وبيضاء، وقال في الغلام الذي قتله الخضر: طُبع يوم طُبع كافراً [3].

وأجيب عن هذا الاعتراض بأن المراد بالعموم هنا خصوص المؤمنين[4].

– اعترض عليه الحافظ أبو بكر الأثرم بالإجماع المنعقد على انقطاع التوارث بين الطفل الميت وبين المسلمين[5].

وأجيب بأن انقطاع التوارث لا يدل على عدم فطره على الإسلام كالعبد المسلم

(1) ينظر: مجموع الفتاوى(243/4).

(2) يُنظر: حديث عائشة ص(76).

(3) تفسير القرطبي(26/14).

(4) المصدر السابق.

(5) ناسخ الحديث ومنسوخه (165). ويُنظر: الفروع (176/6)، الإنصاف (346/10).

لا يرث ولا يُورث [1].

– قال ابن عبد البر :"الإسلام والإيمان قولٌ باللسان، واعتقادٌ بالقلب، وعملٌ بالجوارح، وهذا معدومٌ من الطفل، لا يجهل بذلك ذو عقلٍ..." [2].

قال شيخ الإسلام مجيباً عن هذا الاعتراض :" فليس المراد به أنه حين خرج من بطن أمه يعلم هذا الدين ويريده، فإن الله – تعالى– يقول: ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ﴾ **[النحل:78]**، ولكن فطرته مقتضيةٌ موجبةٌ لدين الإسلام لمعرفته ومحبته، فنفس الفطرة تستلزم الإقرار بخالقه ومحبته وإخلاص الدين له، وموجبات الفطرة ومقتضاها تحصل شيئاً بعد شيءٍ، بحسب كمال الفطرة إذا سلمت عن المعارض"[3].

وأما القول بأن الفطرة هي القابلية للدين فيمكن أن يناقش من خلال ما يلي :

– ما تقدّم في أدلة قول الحافظ أبي بكر الأثرم من ألفاظ حديث أبي هريرة، مما يُنافي القول بهذا المعنى.

– أن الفطرة بهذا المعنى لا يتهيأ لأحدٍ تبديلها كما ذكر البيهقي[4].

وأما القول بأن الفطرة هي البداءة التي ابتدأ الله ﷻ عليها الناس فيمكن أن يعترض عليه بما يلي :

– أنه لو كان كذلك لم يقتصر في أحوال التبديل على ملل الكفر دون ملة الإسلام[1].

---

(1) أحكام أهل الذمة(1134/2). ويُنظر:درء التعارض(309/4)، شفاء العليل(326/2-327).

(2) التمهيد(77/18).

(3) درء التعارض(383/8). ويُنظر:(384-385).

(4) القضاء والقدر(361). وينظر:درء التعارض(444/8).

– أنه لو كان كذلك لم يكن لاستشهاد أبي هريرة بالآية معنى[2].

– أنه لو كان كذلك لم يكن لقوله ﷺ :"فأبواه يهودانه...". معنى؛ لأنهما فعلا به ما هو الفطرة التي ولد عليها فينافي في التمثيل بحال البهيمة[3].

– أن في بعض الروايات"على هذه الفطرة" فيها الإشارة إلى فطرة معينةٍ وملةٍ معينةٍ تمنع هذا التأويل. ذكره المازري[4] .

وأما القول بأن الفطرة هي الفقر والفاقة فالظاهر–والله أعلم– بُعده عن سياق النصوص .

وعند التدقيق يدخل القول الأول والثاني – وهما من أقوى الأقوال– في هذا القول، يقول الشيخ حافظ حكمي وهو بصدد الحديث عن المواثيق على بني آدم :" هذه المواثيق كلها ثابتةٌ بالكتاب والسنة، الأول: الميثاق الذي أخذه الله تعالى عليهم حين أخرجهم من ظهر أبيهم آدم عليه السلام وأشهدهم على أنفسهم ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى﴾ [الأعراف:172] الآيات، وهو الذي قاله جمهور المفسرين –رحمهم الله– في هذه الآيات وهو نص الأحاديث الثابتة في الصحيحين وغيرهما. الميثاق الثاني: ميثاق الفطرة وهو أنه تبارك وتعالى فطرهم شاهدين بما أخذه عليهم في الميثاق الأول كما قال تعالى ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم:30]، وهو الثابت في حديث أبي هريرة وعياض بن حمار و

(1) فتح الباري(250/3).
(2) المصدر السابق.
(3) المصدر السابق.
(4) المعلم(180/3).

الأسود بن سريع ﷺ وغيرها من الأحاديث في الصحيحين وغيرهما. الميثاق الثالث : هو ما جاءت به الرسل وأنزلت به الكتب تجديداً للميثاق الأول وتذكيراً به ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾[النساء:165] ، فمن أدرك هذا الميثاق، وهو باقٍ على فطرته التي هي شاهدة بما ثبت في الميثاق الأول فإنه يقبل ذلك من أول مرةٍ و لا يتوقف؛ لأنه جاء موافقاً لما في فطرته و ما جبله الله عليه، فيزداد بذلك يقينه ويقوى إيمانه فلا يتلعثم ولا يتردد، ومن أدركه و قد تغيرت فطرته عما جبله الله عليه من الإقرار بما ثبت في الميثاق الأول بأن كان قد اجتالته الشياطين عن دينه و هوّده أبواه أو نَصَّراه أو مَجَّساه، فهذا إن تداركه الله- تعالى- برحمته فرجع إلى فطرته، وصدَّق بما جاءت به الرسل ونزلت به الكتب نفعه الميثاق الأول و الثاني، و إن كذب بهذا الميثاق كان مكذباً بالأول فلم ينفعه إقراره به يوم أخذه الله عليه حيث قال: ﴿بَلَىٰ﴾ جواباً لقوله -تعالى-: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ و قامت عليه حجة الله، و غلبت عليه الشقوة و حق عليه العذاب ، و من يُهن الله فما له من مكرم، إن الله يفعل ما يشاء..."[1].

(1) معارج القبول (1/92-93). ويُنظر: دليل الفطرة(68).

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين، أحمده على ما بطن من نعمه وظهر، وأُصلي وأُسلم على نبينا محمدٍ، وعلى آله وصحبه، ومن اهتدى بهديه، واقتفى سنته إلى يوم الدين . وبعد:

ففي ختام هذا البحث يطيب لي أن أُسجل أبرز النتائج والتوصيات التي ظهرت لي من خلاله ، وتتلخص فيما يلي:

- أنه قد ورد في الصحيحين في باب الفطرة عدة أحاديث يظهر اختلافها، وأن أهل العلم اختلفوا اختلافاً عريضاً في تحديد معنى الفطرة، والذي به يتم دفع الاختلاف بين هذه الأحاديث.
- أن القول الأقرب في دفع الاختلاف أن كل مولودٍ يُولد على الفطرة أي على العهد القديم ، لكن منهم من بقي على العهد وحقّت له السعادة ، ومنهم من كُتبت عليه الشقاوة في بطن أمه ، أو انحرف عنها بعد الولادة .
- أن البحث في مختلف الحديث وسيلةٌ صحيحةٌ لفهم الحديث النبوي فهماً سليماً، واستخراج المعاني، وتثوير الفوائد من خلال تدبر السنة، وجمع نصوصها، ووضعها في مواضعها، كما أنه دفاعٌ عن الشريعة الغراء، وإبطالٌ لكيد أعداء الدين.
- ظهر لي من خلال البحث أنه من المهم جداً الرجوع إلى الكتب المتخصصة في شتى العلوم كالعقيدة والتفسير والفقه والحديث وغيرها؛ لفهم الأحاديث، ودفع الاختلاف بينها .
- أن من الأمور المعينة على دفع الاختلاف بين الأحاديث جمع الروايات والألفاظ، وتمحيصها ، وتنقيح الصحيح من الضعيف.

- أن من الأمور المعينة على دفع الاختلاف بين الأحاديث ضم الأحاديث بعضها إلى بعضٍ، والذي يُؤدي إلى رؤيةٍ تكامليةٍ للنصوص ، لمعرفة العام من الخاص، والمطلق من المقيد، والمجمل من المبين، وغير ذلك .
- أن الاهتمام باللغة ومعرفة قواعدها ودلالات الألفاظ وطرق الاستنباط مما يدرأ كثيراً من التعارضات والإشكالات المتوهمة بين الأحاديث

- أن كثيراً من نتاج الأئمة مبثوثٌ في بطون الكتب والشروح، ومن ذلك كلامهم في الاختلاف بين الأحاديث، ومن المفيد استخراجه ودراسته وتقريبه لطلاب العلم ، والذي من شأنه تكوين صورةٍ واضحةِ المعالم لكيفية تعامل الأئمة مع الأحاديث المختلفة في الظاهر.

والله أعلم ، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وعلى آله وصحبه ، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.